

الاعلام الاعياد

الميلاد

انتظر الميلاد

ها انذا .. انتظر .. الميلاد ..

كتباته السابقة .

« هو العار حتى الضحى

أو هو النوم حتى الجريمة

... تناسل اذن يا كلام الجرائد

تناسل اذن يا ذباب المقاعد »

يعود الشاعر الى نقطة الصفر . الى اللوتوف في
أعلى الجبل منتظرا في حزن الميلاد الذي لم يأت .
ان مرثي القاسم تعبر عن نقطتين :

١ - من جهة اولى ينكسر الشعر بين يديه .
فالشاعر الفلسطيني ، يعود الى تاريخ عدوه
ويتداخل مع مرثي ارميا حيث تصل الفجيرة
اليهودية الى أعلى مراحلها . فمرثي ارميا هي
قصائد شعبية يهودية كتبت بعد السبي سميتها
الغالبية شعور ماساوي عتيق . وتطلع الى الرب
الذي ترك شعبه يسحق تحت ضربات الامم . فحين
يستعيد القاسم مأساة عدوه . فانه يصل الى
ذروة المأساة . انها المأساة المستلبة الكاملة
التي تعود فتنسكب في مآسي العدو . حيث يجد
الانسان العربي نفسه محاصرا من جميع الجهات .
مرثي القاسم هي مرثي الحصار .

« عصرنا جماجمنا في التراب ، اندغمنا ،
اندثرنا

وعدنا سنابل بعض السنابل

ليأمن سادتك الكهل شر الفوائل

وجعنا كثيرا عربنا كثيرا ومتنا كثيرا

ولكن شكرنا

اردت .. فماذا تريد ؟ »

٢ - من جهة ثانية يعود القاسم الى استعارة
القضايا الكبرى « الغضب ، الحزن ، الغربة »
هي الموضوعات التي تشكل خلفية القصيدة
الطويلة . فالشاعر ، حين يضع نفسه ، في مركز
النبوة . فانه يقوم في الواقع بحركتين متناقضتين .
من جهة يبتعد عن شعبه ، ليدخل في لعبة الحلم
من طرف واحد ومن جهة جهة ثانية فانه يحاول أن
يكون في ابتعاده ضمير شعبه وصوته . هذه الحركة
في اتجاهين متناقضين تعطي التصيدة ، وتورا
عالي اللبرات ، يسمح للشعر ان يصل في
اكتشافاته نحو اعماق مأساة شعبه ، لكن القاسم
عوش ان يذهب في اللعبة الى نهايتها فانه يتوقف
في منتصف الطريق . رؤيته النبوية لا تستطيع ان
تصل الى مرحلة تفكيك الواقع ، سحقه واعادة
بنائه . بل تتوقف عند الحد الفاصل بين الحلم
النبوي والواقع الظاهري . وتعود الى الدائرة
نفسها التي تحاول القصيدة كسرهما . فيعود الى
« أبواب الامم المتحدة (او غير المتحدة) » ويغرق
في معاملة وصفية مع قضيته ناسيا البعد السذي
حاولت التصيدة ان ترسمه في بدايتها . فتغرق الرؤية
النبوية في سطح الواقع . تقوم بحركات متسارعة
تحرك هذا السطح ولا تصل الى اعماقه . فتتقد
القصيدة عمتها وتتهدد على مسافات طويلة من
الورق في حركة دائرية . والواقع ان القاسم حاول
ان يخترق هذه الحركة الدائرية باستعماله صورا
ناشئة « صلعة الكون » مثلا . والمراد بهذه
الصور حرق المساحات المنخفضة في القصيدة
واعادة شحنها بالانفعال ، عبر كسر توازن القاريء
المستسلم لحركة القصيدة . لكن هذه الصور
بثاثرها عبر القصيدة وبعدم قدرتها على التتابع في
خطوط مستقبلية متوالية افقدتها قدرتها المفترضة
على الايحاء الانفعالي . فجاءت محترقة تبسل
اقتعالمها ، ولم تستطع ان تفجر في القصيدة
تداعيات انفعالية تفترضها نقطة انطلاق القصيدة
نفسها .

« ... ها انذا ، يا نافع الارواح

في جيش البذار

ها انذا وحدي على الاسوار

حالة الحصار لها شكلها الخاص ففي القسم الاول
من القصيدة نرى الشاعر يتكلم مباشرة على
التراث الشعري المأخوذ من التوراة حيث نتذكر
مزمار داود وصوت سليمان الحكيم . وحيث
الصورة الشعرية هي تتابع للفعل الانساني في
حركته باتجاه الخالق . هذا التتابع يأخذ عند
القاسم شكلا نثريا ، لانه تتابع رتيب . فالشعر
ينفلت من الضوابط الداخلية . والصورة الشعرية
تتهدد على مساحة شاسعة تفقد معها قدرتها على
الايحاء . والواقع ان القاسم يريد ان يعبر عن
واقع يتلاشى . لكن الجملة الشعرية حين تتلاشى
عنده فان تلاشيها ليس متوتر النبرة . انه تلاش
انهياري . لكنه لا يعيش داخل الانهيار . يعيش
على حافته . لذلك فانه يضطر الى شحن هذا
التلاشي بالصور القديمة التي يستعيد بها القاسم من